

البطيخة ٤

سلمان داود مرقس

حدث او فرح تم وأنا لمشاهدة ما أشيع عن وجود بطيخة من نوع غريب وفي موسم الربيع غير موسها!!

والقوم يتساءل هل نيسان رجعت ايامه الى الورا كي نصدق الاكذوبة يوم كان التاريخ قد طمر احتفالات أكيثو وشارع الموكب وباتت كذبة نيسان عوضاً عنه هي المصدقة؟ أم أنها دعابة من دعابة الخبثاء والعم الياس قافلاً بابه بالمزلاج.. ولا يفتحه لأحد صارخاً من وراء تلك الاخشاب المغلقة ببقايا صفائح أكلها الزنجار؟! اتركونا ياناس..؟ الرحمة ياناس؟ غداً هو الاحد وسأعرض البطيخة في الكنيسة وليفعل القس بها ما يشاء؟ الا أن فضول الناس لم يرتو وكثيراً منهم بدأ يصرخ قائلاً أيها العم العجوز أنت

تقاطر القوم من كل حدب وصوب في ذلك المساء اثر انتشار الخبر في القرية الى بيت العم الياس ذلك الرجل العجوز الذي توافد الى القرية منذ سنين عديدة مدعياً أنه من قرية (سين) وانه تركها طلباً للرزق ولكن حقيقته بانث فيما بعد أنه هجرها لعداوات شخصية وخلافات عائلية مع اعمامه.. المهم انه عاش هنا في قرية (صاد) بعد ان منحه احدهم قطعة أرض صغيرة بنى عليها كوخين من اللبن والطين وسقفها بأعواد الخشب الابيض والقصب مهياً عليها التراب واصبحت قصته وهروبه في خبر كان حتى نحن الصغار لم نكن نعلم بها الا في ذلك المساء النيسانى الذي اشرفت ايامه على الانتهاء.. نعم تقاطر القوم لا لمكروه

لست...؟! ولم تدخل كنيستنا لا أنت ولا أحد من افراد عائلتك منذ قدومك قرية صاد؟ ولم تعترف بقساوستنا فكيف لك ذلك؟

سكوت مطبق من داخل البيت بعد تلك الكلمات وفيما بعد أعلمني أحد أصدقائي نقلاً عن إبناء العم الياس أن دموعه كانت تتساقط وهو يردد ويهمس أنا كافر يا معشر الناس؟ منادياً على ابنته بعصبية قائلاً ماري اللعنة عليك وعلى هذه البطيخة التي اتيت بها ولكن وا أسفاه على ضيق اليد التي جعلتني ابعث بأولادي وبناتي أجراء لدى الناس فللغربة معايير يجب السير معها.. وخلاصة القول أن ماري كانت ضمن مجموعة هذا اليوم تعمل في عزق وتنظيف الحقل عند عشورها على ثمرة بطيخ ناضجة في وقت مبكر جداً بالنسبة لمحصوله أضيف أن تلك البطيخة فيها ميزة كأنها أعجوبة لدى الناس البسطاء في القرية وجباً بالفضول حاول الفوضيون ايجاد تلك الجلبة خاصة اثنان من ذوي العضلات المفتولة من الشباب كانا دوماً

يحاولان منع الناس من التقرب من بوابة الدار مستعرضين عضلاتهم...

برودة الجو وخفوت ضوء القمر لم ينل من اولئك الفضوليين. عاد بعضنا الى دورهم الطينية ليتدثروا بملابس صوفية تقي اجسامهم الهزيلة. وفي موقف كهذا تجد الفوضيين نشطاء لأثارة الفتن فمنهم من حاول التقرب من الباب لكسره ومنهم من تهجم بكلمات نابية والانكى بعضهم كانت كلماتهم من القسوة بحيث طالت اعراض أهل الدار؟ مما أدى الى اشتباك بالايدي بينهم وبين ذوي العضلات المفتولة.. ولم ينته المشهد الا بحضور صاحب الحقل الذي كان من الدهاء صارخاً أنا صاحب الشأن وأنا مالك الحقل لقد ذهبت تلك البطيخة لماريا لأنها وجدتتها وبناء على رغبتها سنعرضها غداً في الكنيسة في مزاد علني فمن له الرغبة في الشراء عليه الحضور..! تفرق القوم على أثرها على أمل اللقاء صباحاً في الكنيسة..

باكراً كان أهل القرية صغاراً وكباراً في باحة الكنيسة لا حباً بالشراء وإنما لمشاهدة

لأبنائي ولا يسمح لي بدخول الكنيسة.
الكل ينظر الواحد للآخر بريبة ودارت
الهمهمة بين القوم..؟! وأحد ذوي
العضلات المفتولة صرخ قائلاً أين
البطيخة ياعم ولنتقي شرهم؟ تقدم
صاحب الحقل نحو ماريا هامساً ورافعاً
بطيخة بيده اليسرى صارخاً بأعلى صوته
ها هي شيء لا يصدق سبحوا الله أنها
عجائب الطبيعة.. انها بطيخة خضراء
وذات نتوء اصفر برقم (٤) ظهرت في
غير موعدها ما بالكم وأنتم من الامس
في هرج ومرج تحاولون اثاره الفتن وبعد
أن شاهدها القوم ملياً وانصرف دون
كلام.. لكن الغريب لم تغب شمس ذلك
النهار الا وكانا مفتولي العضلات قد
خطبا ابنتي العم الياس..

سال لعابنا لتذوق طعم البطيخة في
ذلك اليوم لكن القس صاحب النفوذ
وصاحب حصة الاسد كان سباقاً لألتهاهما
والكل يزدرد ريقه اسفاً وحسرة.

الاعجوبة.. وما أن ظهر ظل العم الياس
وعائلته سابقهم حتى صرخ الساعور
الذي كان بالمرصاد لهم في باب الكنيسة
أيها...؟! فما كان من المسكين الا
ونادى وهل الرب قال هذا...؟! وصاحب
الحقل مزمجراً طارداً الساعور وزمرته
وهو يدخل مع عائلة العم الياس الى
باحة الكنيسة.. الكاهن حاول التعنت الا
أن الجمهور هاج وماج كاسراً التقاليد
البالية وذوي العضلات المفتولة يحومان
حول العائلة كالطيور الكاسرة ولا
يسمحان لأحد من التقرب اليهم وبنات
العم الياس تستجيبان لهم..

أين البطيخة صاح القس؟

الا نسبح الله خالقها ونقيم الصلاة
قبل مشاهدتها، أجاهه العم الياس؟

ساد الصمت طويلاً لكن العم أردف
يا معشر القوم المنطقة مشهورة بزراعة
البطيخ وأنا التجأت الى هذه القرية من
سنين طويلة لا أحداً يقبل بتزويج بناته